القضايا الاجتمِاعيـة في ضوء دلالة الألفاظ في سورة النـور

د. فوزية علي القضاة

أستاذ مشارك في اللغة والنحو

د.مجدي حسين أحمد شحادات

أستاذ مساعد في اللغة والنحو

كلية إربد الجامعية

جامعة البلقاء التطبيقية

قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تقصي الألفاظ الاجتماعية في سورة النور والكشف عن دلالاتها، وتبين أن سورة النور عالجت الكثير من الجوانب الاجتماعية التي ترسخ قيم المحبة والسلام والأمن في المجتمع، وذلك من خلال تركيز ألفاظها على الفرد ابتداءً وعلى الأسرة باعتبارها النواة الأصل لهذا المجتمع، وتبين أن العلاقات الاجتماعية يجب أن تكون مبنية على الوضوح وعدم الاعتداء على حرمات الآخرين، وأوضح ما جاء بهذا الصدد هو تشنيع السورة على من يرتكبون جريمة الزنا، ومن يقذفون الأبرياء بهذه التهمة كذباً وزوراً، إضافةً إلى عدم التهاون مع من يحبون أن تعم الفوضى جوانب الحياة الاجتماعية من خلال اشاعتهم للفاحشة، واختتم البحث بخلق اجتماعي فريد ألا وهو خلق الاستئذان والذي من شأنه حفظ عورات الآخرين وستر عيوبهم.

Abstract

The objective of this research is to investigate words social in Surat Al Noor and detect implications, and show that the Al Noor addressed a lot of the social aspects that reinforce the values of love and peace and security in the society, through its focus on the individual starting and on the family as the nucleus origin for this community, and show that social relations must be based on clarity, transparency and non-aggression on the sanctity of others, and explained what was in this regard is the demonization of Sura on committing adultery and throwing innocent of this charge falsely, in addition to zero tolerance of love to chaos aspects of social life through obscene crimes, and concluded research by creating a unique social namely creating authorization and which would save the faults of others and cover their flaws.

تقديم:

تناول البحث القضايا الاجتماعية في ضوء دلالة الألفاظ في سورة النور، ولكن قد يسأل أحدهم: ولماذا في سورة النور تحديدًا رغم أن هذه الألفاظ أو بعضها قد ورد في سور أخر من القرآن الكريم؟، والجواب على ذلك: أن هذه الألفاظ وهذه القضايا لم ترد مجتمعة في سورة واحدة كما وردت في سورة النور، ثم إن الله سبحانه منذ البداية قد أوجب ما في هذه السورة من أحكام إيجابًا قطعيًّا، حيث قال سبحانه وتعالى: (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا)، من هنا فإن هذه السورة تعد من جوامع السور في القرآن الكريم، فقد أنزلها الله سبحانه ليطبق أحكامها المؤمنون وألزمهم العمل بما جاء فيها، وليس لمجرد التلاوة والتعبد.

لقد تناول البحث هذه القضايا مرتبةً بحسب ما وردت الألفاظ الدالة عليها في السورة الكريمة.

مقدمة:

تستعمل اللغة لأداء وظيفتين رئيسيتين: إحداهما: وظيفة تواصلية تفاهمية يشترك فيها المتكلمون، فتكون مباشرة عرفية في ألفاظها ودلالاتها، منطقية في بناء جملها، والوظيفة الثانية: وظيفة تأثيرية جمالية، وهذه الوظيفة هي ما تجعل اللغة ذات رونق وجمال وبهاء، وكلها تنضوي تحت لواء الحياة الاجتماعية التي لا تكاد تنفك عن اللغة، إذ إن اللغة بحد ذاتها بنية اجتماعية متكاملة.

وكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة اجتماعية، تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية، فالدلالة الاجتماعية للكلمات تظل تحت بؤرة الشعور؛ لأنها الهدف الأساسي في كل كلام، وليست العمليات العضوية التي نقوم بها في النطق بالأصوات إلا وسائل يرجو المتكلم أن يصل عن طريقها إلى ما يهدف من فهم وإفهام.[١]

وتتعدد الألفاظ الاجتماعية في اللغة لتشتمل على العلاقات بين البشر؛ كالمحبة والكره، والأطعمة والأشربة، والألبسة ومواد الزينة، والزيارات ودخول البيوت، والجوار والصداقة، والحرف والمهن، والفقر والغنى، وغيرها.

وإذا ما تأملنا القرآن الكريم وجدنا أن دلالة الألفاظ الاجتماعية تتوافر في استعمالها اللغوي في عدة مجالات من الآيات القرآنية، ومرجع هذه الدلالة هو التبادر العام في العرف العربي بما يعطي للكلمة من دلالة خاصة بها، ومراعات هذا العرف ذو أثر مهم في الدلالة المعينة للكلمة[٢]، وقد تم اختيار سورة النور محلاً لهذا البحث كونها تحدثت عن عدة

مجالات من الحياة الاجتماعية في العديد من آياتها وقد عنيت بجميع طوائف المجتمع ولم تقتصر على الفرد دون الأسرة والجماعة والأمة.

ويجد المهتم بالقضايا الاجتماعية ما للمجتمع من مكانة ودور كبير على نواحي الحياة اليومية المتنوعة، ومن هنا يلاحظ المتتبع للقرآن الكريم حرصه الشديد على بناء مجتمع قويم، ولفت الأنظار إلى ما قد يكون سبباً لمشكلة من جهة، والسعي إلى إيجاد حلول أولية من جهة ثانية، ومن ثم العلاج للقضايا الاجتماعية .وعليه؛ يهدف هذا البحث إلى تتبع ألفاظ سورة النور واستقراء ما حوته من قضايا اجتماعية مفيدة للمجتمعات عامة، والمجتمع الإسلامي خاصةً، وفي سبيل الوصول إلى الغاية المرجوة من البحث فقد تم تقسيمه على النحو التالي:

أولاً: الجوانب الاجتماعية التي عالجتها سورة النور.

ثانياً :دلالة الألفاظ الاجتماعية الواردة في السورة.

أولاً – الجوانب الاجتماعية التي عالجتها سورة النور

من خلال البحث في موضوعات السورة ومقاصدها وأهدافها وبعد الاطلاع على بعض أقوال أهل التفسير في ذلك يمكن القول إن الركيزة الأساسية التي تدور حولها سورة النور هي العلاقات الاجتماعية، وما ينبثق عنها من معانٍ ومستلزمات تحصين المجتمع بآداب العفاف والستر والوقاية من الجرائم والمنكرات وعلاج الزلات ومحاربة مداخل الشيطان وأساليبه.

"والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التي تصل القلب بنور الله وبآياته المبثوثة في تضاعيف الكون

وثنايا الحياة، والهدف واحد في الشدة واللين، هو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تشف وترف، وتتصل بنور الله.. وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة. بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله..".[٣]

وقد جاءت التوجيهات المختلفة بالعناية بهذه السورة لتركيزها على الجوانب الإيمانية والنفسية والخلقية الفردية والجماعية والأسرية كالأمر بآداب المخالطة، والزيارة، وغض البصر، وحفظ الفروج، والابتعاد عن الزنى، ودواعيه وأهله ومعاقبة الزناة والمستهترين بحرمات المجتمع، والأمر بالعفة وصون الأعراض والحرمات ومراعاة الآداب داخل الأسرة والمحافظة على الصلة بالله تعالى، واستشعار فضله ورحمته، وتوقير رسوله صلى الله عليه وسلم، وتبجيل مجلسه وعدم مخالفته.. ومن خلال التنوع في أساليب التربية المختلفة التوجيهية والوقائية والعلاجية.. والتعريف بالله تعالى المعرفة التي تجعل المرء يخضع لجلاله وعظيم سلطانه، ويشعر بأنه محاسب على كُلِّ ما يعمل من عمل قلّ أو كثر، فإذا تم له ذلك صلحت نظم الفرد ونظم المجتمع، وسادت السكينة والطمأنينة بين الناس.

وبالتالي يمكن القول إن سورة النور قد اشتملت على عدة محاور ومقاصد، يمكن إجمالها بما يلي:

- مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر، فقد اشتملت على أحكام مهمة تتعلق بالأسرة وأحكام معاشرة الرجال للنساء، وآداب الخلطة والزيارة، وحماية حرمات الأسر، من أجل بنائها على أرسخ

الدعائم والتركيز على تماسكها وتنظيمها وحمايتها من الانهيار والدمار.[٤]

- تربية نفوس المؤمنين والارتقاء بأخلاقياتهم، وسلوكياتهم، وإيمانياتهم، وإصلاح الجانب الاجتماعي، ومعالجة حوادث الزلل التي قد تقع في المجتمع.. من خلال الحض على معاني التسامح والإنفاق، وحسن الظن، ومراعاة الحرمات للبيوت، وتوقير القيادة وتشريع بعض العقوبات.

- تحصين المجتمع المسلم بالوسائل الوقائية من خلال تشريع آداب الاستئذان والمخالطة، وآداب اللباس، والأمر بغض البصر، وحفظ الفروج، والحض على تزويج الأيامى، والتثبت من الأخبار، ومحاربة الإشاعات، وحسن الظن بالمؤمنين.

- تنبيه المسلمين من مخططات الأعداء، وأساليبهم في النيل من المسلمين، واستغلال الثغرات لخلخلة بنيان المجتمع المسلم، والتحذير من الوقوع في مصائد المنافقين ببيان صفاتهم وفضح أساليبهم، وتطمين المؤمنين بأن العاقبة لهم، وأن الله تعالى متكفل بالأعداء ولن يعجزوه.

ثانياً- دلالة الألفاظ الاجتماعية الواردة في السورة

تبدأ السورة بإعلان قوي حاسم عن تقرير هذه السورة وفرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف، ومن آداب وأخلاق: (سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور:١) فتدل هذه البداية على مدى اهتمام القرآن الكريم بالأخلاق التي تكفل الاستقرار للمجتمع؛ ومدى عمق هذه الأخلاق وأصالتها في العقيدة الإسلامية، ثم تستأنف السورة

جملة من السلوكيات الاجتماعية التي لا تخلو من أي مجتمع، ويجعل لها من الضوابط والحدود ما يرتقي بهذا المجتمع وتربيته الروحية والنفسية لأن يكون حاملاً للواء الدين، خير مسْتخلَفٍ لخير مستخْلِف.

إن مما لا شك فيه أن سورة النور جاءت لتعنى بحفظ المجتمع من الأخلاق السيئة، وحفظ الأخلاق من الرذائل، وحفظ العورات، فهي سورة تزكي المؤمنين حتى لا تتدنس أخلاقهم بما يشينهم، لذا جاء الحديث في بدايتها عن الزنا والقذف واللعان والإفك، ثم الاستئناس، ثم غض البصر، ثم آيات الحجاب، ثم الأمر بالاستعفاف وإنكاح الأيامى، ثم الحديث عن النور وهو مثل هداية الله في قلب المؤمن؛ لأن من التزم هذه الآداب قذف الله في قلبه نور الهداية.

وفيما يلي بيان لما اشتملت عليه السورة من ألفاظ اجتماعية مع بيان دلالاتها:

أولاً: الزنا:

قال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)(النور:٢).

الزنا لغة: (زنا) الزنا يمد ويقصر زَنى الرجلُ يزني زِنى مقصور، وزناء ممدود، وكذلك المرأَة، وزانى مزاناةً.

قال اللحياني الزنى مقصور لغة أَهل الحجاز قال الله تعالى :(ولا تَقربوا الزنى) بالقصر والنسبة إلى المقصور زِنَوِيٌّ، والزناء ممدود لغة بني تميم وفي الصحاح المد لأَهل نجد[٥].

زنى وزناء أتى المرأة من غير عقد شرعي ويقال زنى بالمرأة فهو زان[٦].

الزنا لغة: الوطء في قُبُلٍ خالٍ عن ملكٍ أو شبهةٍ.[٧]

والزنا هو اسم لفعل معلوم وإيلاج فرجٍ في محل محرم مشتهى يسمى قُبلاً، ومعناه: قضاء شهوة الفرج بسفح الماء في محل محرم مشتهى من غير داعية الولد[٨]، وعرفه القرطبي بأنه اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها[٩].

والزنا لفظة اجتماعية غالباً ما يكثر استخدامها للتدليل على جريمة دينية وخلقية واجتماعية حرمها الله تعالى من بداية ظهور الإسلام ونهى عن اقتراب أسبابها، وقد جاء التأكيد على تحريمها في هذه السورة من خلال إعتبارها جريمة يستحقّ فاعلها ذكراً أو أنثى عقوبة شديدة مخزية، والأمر بقطع العلاقة بالزناة وتشنيع الزواج منهم، قال تعالى: (الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (النور:٣) والآية وإن جاءت بصيغة الخبر إلاّ أنّ المقصود منها هو النهي؛ فمن كان الزنى دأباً وعادة له وتخلق به فلا يجوز أن يتزوج من المسلمين الأعفاء، لذلك أتبع الله هذا التعميم الجاري مجرى الغالب بقوله: (وحِرِّم) أي حُرِّمَ نكاح الزواني، وهذا يعني تحريم العفيفة على الزاني، والزانية على العفيف تشنيعاً وتقذيرًا لجريمة الزنى، إذ كان الزنى وقتئذ شيمة أهل الشرك[١٠]، وقد جيء بضمير البعيد (ذلكَ)؛ لبيان الاشمئزاز والتقزّز من الزنى والزواج من أهله.

ويظهر من أسلوب التقديم والتأخير في الآية أنه تم تقديم النساء على الرجال فقال ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾؛ لأن الغالب وجود ذلك في النساء[١١]، كما

أن الأنثى سبب في وقوع الزنا إذ لا يتأتى غالبا إلا بطواعيتها،[١٢] وكذلك ما يترتب عليه من تلطيخ فراش الزوجية، وفساد الأنساب، وإلحاق العار بالأهل، خاصة إن نتج عن هذا الجرم حمل، لذا كان تقديم الانثى على الذكر.

وقد يسأل سائل: ما علاقة الزنا بالقضايا الاجتماعية؟ فنجيب بأن صيانة المجتمع من جريمة الزنا تعد من أهم متطلبات المجتمع الناجح؛ لأنَّ عناصر أي مجتمع تتكون من الفرد ذاته؛ فجريمة الزنا تحول دون مشاركة الفرد في بناء مجتمع زاهر؛ لأنه سيصرف همَّه لإفراز شهواته الحيوانية في غير ما شرع الله.

ويتضح من خلال الآية الكريمة أنها تؤسس لتربية اجتماعية غاية في السمو والرقي البشري، فقد جاءت ناهيةً عن الزنى للمحافظة على أبناء المجتمع من التخبط الجنسي ولعدم تفكك الأسر المسلمة ولحفظ الأنساب، وعدم وجود اللقطاء الذين يرهقون كاهل المجتمع وما يترتب على وجودهم من تبعات لا تحمد عقباها، إضافةً لما تورثه هذه الجريمة من تفشٍ لظاهرة الطلاق التي تزعزع أركان المجتمعات وما تخلفه من مظاهر العداوة والبغضاء والتي عادةً ما ينتج عنها القتل وسفك الدماء والتجني على الأبرياء، ناهيك عما يعقب الزنا من أمراض فتاكةٍ وخطيرة يصاب بها الزاني والزانية على السواء والتي لم تجد البشرية لها علاجاً حتى هذه اللحظة.

ثانياً: القذف:

أكدت سورة النور على أهميّة حفظ اللسان وصونه عن الخوض في أعراض الناس، أو زعزعة أركان المجتمع من خلال إشاعة الفاحشة بين

أبنائه؛ لأن الكلمة إذا خرجت كانت كالسهم لا يمكن ردها، فإما أن تكون كلمة خير تحمل بين جنباتها المحبة والسلام للمجتمع، وإما أن تكون كلمة شر تحمل بين طياتها الدمار والخراب للتركيبة الاجتماعية المنسجمة، وقد حّذرت سورة النور من آفات اللسان وما تجرّه هذه الآفات من تفكيك للعلاقات بين الأفراد في المجتمع الواحد وبالتحديد بين الأزواج الذين يشكلون اللبنة الأساسية للمجتمع، والقذف قد يجر مرتكبه الى الكذب.

والكذب :"هو الإخبار خلاف ما عليه المخبَر عنه أي الإخبار بعدم مطابقة الواقع"،[١٣] والكذب كما هو معلوم ظاهرة اجتماعية سيئة يتصف بها بعض الأفراد الذين يرغبون في تغطية جوانب الضعف في شخصيتهم وبسبب عدم قدرتهم على التكيف الاجتماعي ليحاولوا تغطية هذا الضعف بالكذب من أجل كسب بعض الرغبات، أو تحقيق بعض الأهداف عن طريقه، مع علمهم أو بدون علمهم على ما يترتب على هذا الكذب من ويلات ومشاكل لا تحمد عقباها.

وقد توافرت عدة آيات في سورة النور حول هذه الظاهرة السيئة والتحذير منها، وترتيب العقاب على من اجترأها:

- قال تعالى :(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة النور: ٤).

وهذه الآية عامّة في رمي الرجال والنساء على حدّ سواء، وذكرت النساء دون الرجال؛ لأنّ رميهنّ بالفاحشة أشنع وأنكى للنفوس، فقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى وإجماع الأمّة بذلك[١٤]، واعتبرت الآية

القذفة فاسقين خارجين عن طاعة الله– عزّ وجلّ – وهذا يُنزل جريمة القذف لمرتبة الكبائر، وقد وصفه النبيّ صلى الله عليه وسلم بأّنه من أربى الربا حيث قال: "مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَة فِي عِرض الْمُسْلم بِغَيْرِ حَقٍّ" [١٥].

وفي الآية حث للمسلمين على الستر وعدم فضح بعضهم البعض، وعدم التخبط في إصدار الاحكام على أفراد المجتمع، "والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محّققة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخص فيه وعدم التحرّج من الإذاعة به وتحريض الكثيرين من المتحرّجين على ارتكاب الفعلة التي كانوا يستقذرونها ويظّنونها ممنوعة في الجماعة أو نادرة، وذلك فوق الآلام الفظيعة التي تصيب الحرائر الشريفات والأحرار الشرفاء وفوق الآثار التي تترّتب عليها في حياة الناس وطمأنينة البيوت"[١٦].

ويلاحظ أن النص القرآني قد استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا، والرمي لا يكون إلا للشيء الصلب أو المادي، وقد تم العدول عن الحقيقة اللفظية التي يطلقها المُتهِم للمرأة أو للرجل بالزنا، وأرى كذلك أن الرمي لا يكون إلا للشيء إذا رمُي من بعيد كـ(رمي الجمرات مثلاً) ولكن الرمي هاهنا كان كناية عن أن القاذف قد رمى بكلامه من غير دليل قاطع وكأنه كان بعيداً عن الحقيقة مجانباً للصواب، وفي هذه الاستعارة بلاغة لما تحتمله من تبكيت وثقل وأذية للمقذوف.

والمتمعن للآية السابقة:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) يجدها تمهيداً للحديث عن حادثة الإفك التي وشيت بها السيدة عائشة رضي الله عنها، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ[١٧] عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ

هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) (النور:١١)، وهذا إن دلّ إنما يدل على الوحدة العضوية بين آي القرآن الكريم، ومناسبة الآيات لبعضها، وحسن نظمها.

فالظاهر أن الاتهام للغير بالفواحش عامةً، والزنا خاصةً نابعٌ من أن الرمي والاتهام بها شنيعاً؛ وذلك لحماية الأعراض وصونها عن التهم والطعون، والمحافظة على سمعة الإنسان وصيانة كرامته، ومنع ضعاف النفوس من إشاعة الفاحشة في الأبرياء الغافلين، والمحافظة على مشاعر أفراد الأسرة والعمل على تماسكها، وبالتالي تماسك أفراد المجتمع بشكل عام.

ويندرج تحت القذف – وهو مِظلة السوء هاهنا– إشاعة الفاحشة؛ قال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النور: ١٩).

إن إشاعة الفاحشة تحتمل أوجهاً عِدة؛ كالتحريض على الفحشاء والمنكر وما ينضوي تحت هاتين اللفظتين، وجعل الناس يألفون رؤية المنكر أو سماعه وكأنه شيء عادي، وخدش حياء الناس بالكلام أو باللباس أو بالسلوك، وهذه مما لا شك فيه هي عين زعزعة ركائز المجتمع المسلم، وهي السفينة التي يكون ربانها الشيطان وأعوانه من بني البشر، وجاء التعبير القرآني بكلمة "تشيع" وليس "تنتشر"؛ لأن الشيوع مصطلح أوسع؛ فهو يحتمل الذيوع والانتشار والإعلان والإظهار، وقد سُبقت كلمة "تشيع" بـ "يحبون" وكأن قلوبهم تهوى وتطير وترنوا لإظاهر الفاحشة وإذاعتها إلى كافة فئات المجتمع وشرائحه، وإبراز ما يجترحون من آثام وأمورٍ مخلة بآداب المجتمع، وهذا ينمّ عن مرضٍ

عضال أصاب القلب والجوارح؛ فهؤلاء ليس لهم إلا ما توعدتهم به الآية الكريمة من أصناف العذاب، إلا من تاب وأناب.

وانطلاقاً من كون الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، فالمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه له حُرمة يجب أنْ لا تقلّ عن حرمة الفرد الشخصية التي يتمتع بها، فطهارة الفرد تساعد في طهارة المجتمع والعكس صحيح، وبالمقابل فإن خبث كلٍّ منهما يسري إلى الآخر. واستناداً إلى هذا المبدأ، جاءت الآيات القرآنية لتكافح وبشدة كلّ عمل من شأنه نشر الفواحش في المجتمع.

وهذا نهي واضح عن فضح أعراض البشر وإفساد أخلاقهم، وعدم المساس بحرمات المجتمع، فإذا ما أحب الناس إشاعة الفاحشة فاعلم أن المجتمع قد استحق سخط الله، وأنه في سبيله إلى الهلاك، ومفهوم المخالفة من الآية الكريمة واضح؛ وهو عدم التجني على الآخرين بتلفيق الكلام، أو التشفي بهم إذا ما ابتلوا بارتكاب إثمٍ، وعدم الكشف عن عوراتهم والإساءة إلى أفكارهم وقيمهم الدينية والمجتمعية من خلال نشر كل ما يسيء لهذا المجتمع وأفراده.

ثالثاً: الإحصان (محصنات):

- **قال تعالى :(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) (سورة النور: ٤)،**

المحصنات لفظ مهم من الألفاظ التي يترتب عليها أحكام شرعية، يقال: امرأة حَصانٌ –بفتح الحاء– من نشوة حُصن وحَصانات، وحاصِنٌ من نِسوة حواصن وحاصِنات، وقد حصنت تحصن حِصناً وحُصناً وحَصناً[١٨]، كما يقال: حصّنتِ المرأة نفسها، وتحصنت وأحصنها وحصنها، وأحصنت نفسها، ولفظ "حصان" صيغة مما شذ في باب اسم الفاعل مع

أن القياس من أفعل هو مُفعل، فشذ على صيغة اسم المفعول[١٩] والحصان من الجذر (حصن) فالأحرف الثلاثة الحاء والصاء والنون أصل واحد مُنقاس وهو الحِفظ والحياطة والحِرز[٢٠]، والمرأة الحَصَان هي الحافظة لفرجها[٢١].

وامرأة حصانٌ على نحو قولهم: بناء حصين، في المعنى، فرقوا بين البناء والمرأة، فإنما أرادوا أن يخبروا أن البناء حصينٌ محرِزٌ لمن لجأ إليه، وأن المرأة محرزة لفرجها[٢٢] فالحصان من الحصانة، وهي المنعة والتصوُّن[٢٣]؛ ولذلك قيل للفرس حصانٌ؛ لأنه محرز لصاحبه[٢٤]، ويطلق الحَصان على المرأة المُحْصَنة إما بعفتها أو بزوجها أو بمانع آخر[٢٥]، كما يقال: امرأة محصن إذا تصور حصنها من نفسها، ومحصن إذا تصوّر حصنها من غيرها[٢٦]، وقيل بأن المتزوجة هي المحصنة، وكل عفيفة مُحصِنةٌ ومُحصَنة[٢٧]، وقال ابن السكيت: المحصِنة والمحصَنة: الحرة ما لم تفضح نفسها بريبة[٢٨]، ويقال للمرأة إذا أسلمت: محصنة[٢٩] بدليل قوله تعالى:(فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) (النساء: ٢٥)، وقيل بأن الإحصان عبارة عن اجتماع سبعة أشياء: البلوغ، العقل، الحرية، النكاح الصحيح، الدخول، وكون كل واحد من الزوجين مثل الآخر في الإحسان والإسلام[٣٠]، ومهما تعدّدت الآراء والأقوال فجميعها راجعة إلى أصل واحد هو الحفظ والحِرز والحياطة.

رابعاً:النكاح

- قوله تعالى: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)(النور:٣).

قال السعدي في تفسير هذه الآية:"هذا بيان لرذيلة الزنا، وأنه يدنس عرض صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء، إلا أنثى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن ببعث ولا جزاء، ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك "وحرم ذلك على المؤمنين" أي: حرم عليهم أن ينكحوا زانيا، أو ينكحوا زانية، ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركا، وإما أن يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمنا بالله حقا، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، أشد الاقترانات الازدواجات"[٣١]

والنكاح لفظ اجتماعي يتكون من الجذر (نكح) وهو مشتق من قولهم: نَكَحها ينكِحُها نكحاً ونِكاحاً، قال سيبويه: "نَكحها نِكاحاً جاؤوا به على مثل الضّراب والسفاد لقربهما في المعنى[٣٢]، ومنه رجل نكحة ونكَحٌ: كثير النكاح"[٣٣].

واستنكحت في بني فلان: تزوجت إليهم[٣٤].

أما من حيث الدلالة فالأحرف (النون والكاف والحاء) أصلٌ واحد، وهو البضاع، وذلك نوع من الإنسان خاصة[٣٥]، ويُجرى نَكح أيضاً مجرى التزويج[٣٦]، يقال: نكح فلانٌ امرأة ينكِحها نِكاحاً إذا تزوجها، ونَكحها ينكِحُها: باضعها، أيضاً[٣٧].

وقد اختلف علماء اللغة في الأصل اللغوي لمفهوم النكاح، فمنهم من قال: يطلق في الأصل على الوطء، كما زعم كثير من مدوني اللغة أن النكاح حقيقة في إدخال شيء في آخر، فأخذوا منه أنه حقيقة في الوطء[٣٨]، قال الأزهري: "أصل النكاح في كلام العرب الوطء، وقيل للتزوج نكاح؛ لأنه سبب الوطء المباح"[٣٩]، وقال الجوهري: "النكاح: الوطء، وقد يكون العقد"[٤٠]، وهو قول الفيروزآبادي أيضاً[٤١]، ولم يبق الخلاف بينهم بل تعدّاه إلى الفقهاء، فالنكاح عند أبي حنيفة بهذا المفهوم قال: "النكاح عبارة عن ضم وجمع مخصوص وهو الوطء؛ لأن الزوجين حالة الوطء يجتمعان وينضم كل واحد إلى صاحبه حتى يصيرا كالشخص الواحد"[٤٢].

وعن الزجاجي أنه بمعناهما جميعاً، وعن ابن جني أنه قال: فرقت العرب فرقاً لطيفاً، فإذا قالوا: نكح فلانة، أرادوا التزويج بها، وإذا قالوا: نكح امرأته، أرادوا مجامعتها[٤٣].

وأنكر الراغب ذلك فقال: "أصل النكاح للعقد، ثم استعير للجماع، ومُحال أن يكون في الأصل للجماع، ثم استعير للعقد؛ لأن أسماء النكاح كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشاً اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه[٤٤]، وقال صاحب الكليات: "كل النكاح في القرآن فهو التزوج إلا: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ﴾ (النساء: ٦) فإن المراد الحلم[٤٥]، وقال ابن عاشور: "النكاح هو العقد بين الرجل والمرأة لتكون زوجاً بواسطة وليها، وهو حقيقة في العقد؛ لأن أصل النكاح حقيقة هو الضم والإلصاق؛ فشبه عقد الزواج بالالتصاق والضم بما فيه من اعتبار انضمام الرجل والمرأة فصارا كشيئين متصلين،

ولا يعرف في كلام العرب إطلاق النكاح على غير معنى العقد دون معنى الوطء[٤٦].

ويظهر من خلال ما سبق أن الأصل الدلالي للنكاح هو العقد؛ بدلالة كثرة الاستخدام القرآني له بهذا المعنى وبه جزم أكثر الفقهاء؛ كمالك والشافعي وابن حنبل فهم يرون أن النكاح حقيقة شرعية في العقد مجاز في الوطء؛ ولأنه الأشهر في السنة أيضاً، ولهذا قيل ليس في القرآن العظيم لفظ النكاح بمعنى الوطء إلا في: (حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ) (البقرة: ٢٣٠) [٤٧].

ومما يدل على أنها للتزويج لا للوطء أيضاً قول ابن سيده: "كان الرجل في الجاهلية يأتي الحي فيقوم في ناديهم فيقول: خطب –أي جئت خاطباً– فيقال له: نكح، أي قد أنكحناك إياها"[٤٨]، ولما كان أكثر استخدام القرآن الكريم لفظ النكاح بمعنى الزواج (العقد) نرى الرسول ﷺ يوضح بعض تلك الآيات التي قد تلتبس على بعض الناس؛ فمن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: (حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ)(البقرة: ٢٣٠) وذلك أن هذه الآية تتحدث عن الزواج من المرأة المطلقة ثم زواجها بآخر ثم طلاقها منه وعودتها لزوجها الأول، فالقرآن بيّن أن لا عودة إلى الأول قبل أن تتزوج من رجل آخر، وهذا الزواج الثاني ربما لا يكون به دخول "جماع" فبيّن الرسول ﷺ أنها لا تحل للأول قبل جماعها مع الثاني فقال: "لا، حتى يذوق الآخر من عسيلتها ما ذاق الأول"[٤٩].

خامساً: الزينة

انطلاقا من اهتمام القرآن بلباس المرأة، اهتم كذلك بزينتها، ولفظ الزينة من الجذر (زين) ومن اشتقاقات الجذر اللغوية: زانه وأزانه وأزينه،

وزيّنه بمعنى، وتزيّن هو وازدان، وازيّن وأزيان وازْين[٥٠]، كما أن للجذر (زين) أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه، فالزين نقيض الشين[٥١]، ومنه ازدانت الأرض بنباتها ازدياناً، وازّينت، وتزيّنت، أي حَسُنت وبهُجت[٥٢]، ويقال: زانه الحُسن يزينه زينًا، والزينة: اسم جامع لكل ما يتزين به، والزّين: جمعه، والزّيان: نعت من الزينة، والزيان: ما يُتزيّنُ به[٥٣]، وامرأة زائن: متزينة، والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية: كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية: كالقوة وطول القامة وتناسب الأعضاء، وزينة خارجية: كالمال والجاه[٥٤].

ورد لفظ زينة فيما له دلالة على زينة المرأة في قوله تعالى:(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١) وقوله تعالى:(وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) (النور ٦٠) من خلال هذه الآيات الكريمة يتبين أن الزينة قد تكون ظاهرة بدليل قوله: (إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)، وقد تكون باطنة وتتعمد المرأة إظهارها بدليل قوله تعالى: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ)، كما بينت الآيات أن الثياب قد تكون زينة، والزينة ثلاثة أنواع[٥٥]: أحدها: الأصباغ: كالكحل والخضاب والوشمة في حاجبيها والغمزة في خديها والحناء في كفّيها وقدميها،

وثانيهما: الحِليّ: كالخاتم والسوار والخلخال والقلادة والدملج والإكليل[٥٦] والوشاح[٥٧] والقرط[٥٨]، وثالثها: الثياب: كأن تكون ذات ألوان لافتة للنظر أو شكلها أو أن تكون واصفة للجسد أو تظهر مفاتنه أو غير ذلك.

سادساً:التبرّج

- قال تعالى :(وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء الَّلاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور:٦٠).

التبرّج أحد المشتقات من الجذر (برج) ولهذا الجذر من حيث الدلالة أصلان: أحدهما البروز والظهور، والآخر: الوزر والملجأ، والتّبرّج من الأول[٥٩]، وقد يُقصد بالبرج: المتبرجات، أما البرج فهو: سعة بياض العين مع حسن الحدقة، وإذا أبدت المرأة وجهها قيل تبرجت[٦٠].

وعن الخليل: إذا أبدت المرأة محاسن جِيدها ووجهها قيل: قد تبرجت وتُري مع ذلك من عينيها حسن نظر[٦١]، وقال أبو إسحاق: "التبرّج: إظهار الزينة وما يستدعي به شهوة الرجل، وقيل: أنهن كنّ يتكسّرن في مشيتهن ويتبخترن، فالتبرج: إظهار الزينة للناس "الأجانب" وهو المذموم فأما للزوج فلا[٦٢]، وقيل: إن البرج للمرأة هو تباعد ما بين الحاجبين[٦٣].

فالتبرّج هو إظهار المرأة محاسن ذاتها، أو ثيابها أو حليها، لمرأى الرجال غير المحرمين عليها، كما أن القرآن الكريم قد بيّن أن التبرّج يكون بالزينة وقد نهى الله عنه، فالتبرج بالزينة كما يقول ابن عاشور: "التحلي بما ليس من العادة التحلي به في الظاهر من تحمير وتبييض، وكذلك من الألوان النادرة"[٦٤]، ويرى الراغب في مفرداته:"إن التبرج إما أن يكون من البَرج وهو سعة العين وحسنها كما تقدم، وإما أن يكون من قولهم: ثوبٌ

مبرّج أي صوّرت عليه بروج باعتبار حُسنه فقيل تبرجت، وقيل: ظهرت من برجها أي قصرها"[٦٥].

وقد ذكر محمد عبد العزيز عمرو في كتابه اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية:"التبرج ليس إلا اصطناع جمال مزور، ومهما بالغت المرأة في تزيين وجهها بالأصباغ والمساحيق، فلن تكتسب في الحقيقة جمالاً ولا محاسن، بل إنها تمسخ وجهها، وتخفي ما حباها الله به من جمال فطري، بقناع من الأصباغ الزاهية، التي تختلف وتشذ عن الحقيقة وينبو عنها الذوق السليم، وهي لا تأبه بذلك، ولا تفطن لما صنعت لوجهها من التشويه والتقبيح"[٦٦].

سابعاً: الاستئناس (الاستئذان)

إن من أعظم النعم التي منّ الله بها على الإنسان نعمة السكن، تلك الأماكن التي تسكن بها جوارح الإنسان، ويأمن بها على ماله وعرضه وأبنائه، وقد خصّ الله تعالى الإنسان بهذه النعمة فستره عن الأبصار، ومنع الخلق أن يطّلعوا على ما فيها من الخارج؛ لئلا يهتكوا ستارهم، ويتعرفوا أخبارهم، أو يدخلوها بغير إذن أصحابها؛ لذا كان الاستئذان أدب اجتماعي رفيع يدل على حياء صاحبه وحسن تربيته وعفته ونزاهة نفسه والترفع بها عن رؤية ما لا يجب أن يراه عليه الناس.

لذلك جاءت الآية الكريمة تنص على هذا الخلق الكريم، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور: ٢٧).

فهذه الآيات تخاطب المؤمنين وُتعّلمهم أحكامًا وآدابًا تّتصل بالاستئذان على بيوت الآخرين، ولهذه الأحكام والآداب صلة وثيقة بإصلاح الناس وإصلاح المجتمع؛ فالأصل أنّ كلّ بيت له حرمة يجب أن يُتقى انتهاكها، ولدخوله أدب يجب أن يُراعى، فهي توضّح لهم كيف يتزاورون ويختلطون في ظلّ أدب الإسلام واحترامه للحرمات والآداب، وتمنع بذلك التشريع أسباب الشرّ والإضرار بالناس.[٦٧]

وبالنظر إلى الآية الكريمة :(.. لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ..) فإن الإنسان يستأذن في الدخول إلى محل لا يملكه، وكذا طلب الإذن في مغادرة محل لا يحل له الخروج منه إلا بإذن،

الاستئناس خلاف الاستيحاش، من الأنَس والانس ضدّ الوحشة[٦٨]،ويقال: استأنس، أي ذهب توحّشه،ومن معانيه الطمأنينة،[٦٩]ويطلق الاستئناس ويراد به الاستئذان، وأصل الفعل أذن:علم، وفي التنزيل العزيز:(فَأْذَنُوا بِحربٍ من اللَّه ورسولِه) (البقرة:٢٧٩) أَي كونوا على عْلمٍ، وآذَنه الأَمر وآذنه به أَعَلمه.. واسَتأْذْنتُ فلاناً استئْذاناً وأَذَّنتُ أكثرتُ الإعلام بالشيء، والأَذان الإعلام..".[٧٠].

وعُبّر عن الاستئذان بالاستئناس وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان، ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهل البيت أنساً به، واستعداداً لاستقباله، وهي لفتة دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار.[٧١]

وبالتالي يظهر أن خلق الاستئذان إنما فُرض لحفظ العورات وستر الحرمات وتأكيداً لحقوق الأفراد في خلواتهم، وخلْق مجتمع اسلامي تعمه

المحبة والسلام، فهذه الآداب إنما تكون لمعرفة موعد الزيارة والاستعداد لاستقبال الزائر.

والاستئذان ليس مقصوراً على الرجال والنساء دون الأطفال؛ قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور: الآيتان ٥٨و ٥٩).

فالطفل الذي يؤمر بالاستئذان هو الطفل المميّز الذي يعي ويُدرك ويَعرف عورة الرجل والمرأة، وَتعْلق الأفعال والمظاهر الخاصّة بذهنه ويمكنه أن يحكيها ويعبّر عنها، أمّا الطفل الذي لم يصل إلى هذا الحدّ فلا شيء في دخوله وخروجه في أيّ وقت ..ويُفهم من الآية أنّ إغلاق أبواب الغرف في أيّامنا هذه يُعدّ مانعًا من الدخول ويكون فتحها إذنًا بالدخول لمن أراد.[٧٢]

وفي الآية السابقة توجيه للمؤمنين خدمهم وأطفالهم، ذكورًا وإناثًا، أجانب ومحارم إلى أن يستأذنوهم في ثلاثة أوقات أو أحوال، لما يُخشى من انكشاف العورات ونحو ذلك من مقدّمات النوم والراحة فيها، فهي ساعات خلوة وانفراد ووضع ملابس، وهذه الأوقات هي:

– من قبل صلاة الفجر وقت النوم في الفراش واليقظة من المضاجع وتغيير ثياب النوم وارتداء ثياب اليقظة ويحتمل انكشاف العورة.

- حين تخلعون ثياب العمل وتستعدّون للنوم أو الراحة وقت الظهيرة أو القيلولة؛ لأنّ الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله.

- من بعد صلاة العشاء؛ لأّنه وقت خلع ثياب اليقظة ولبس ثياب النوم.[٧٣]

ويظهر بأن هذه الآية مليئة بالدروس، فأول ما يلفت النظر أن القرآن الكريم يتناول أدق الأمور، فقد وضعت هذه الآية نظاماً كاملاً وشاملاً للاستئذان؛ نظام المعاشرة والمخالطة العائلية والمجتمعية، وانطلاقاً من اعتبار البيوت سكن، فإذا ما جاء أحدهم فجأة ودخل دونما استئذان انتزعت صفة السكن عن البيت، فهذا النظام العظيم يوقف الانسان عند حده عن تنغيص راحة الآخرين، من هنا يجب الاستئذان للجميع من الجميع.

وإن سأل سائل:ما مناسبة آيات الاستئذان في هذا الموضع؟ قيل: جاء الحديث قبلها عن الزنا والقذف والإفك، فلما ذكرت هذه الأمور أراد الله أن يبين ما هي الآداب التي تقينا من رمي المؤمنين والحديث عنهم بغير حق، وعدم انتهاك عوراتهم، وعدم الوقوع في الزنا فإن كنت تدخل على بيوت غيرك بغير استئذان (مثلاً) ووجدت امرأته متزينة بوضع لا يحل لك أن تراها فيه، ألا يكون هذا داعياً للزنا، والوقوع في الفاحشة؟ فالاستئذان يحمينا من الوقوع في الرذيلة، وإن قيل: ما مناسبتها لما بعدها؟ قلنا: جاء قوله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) فلما أمر بالاستئذان أمر بغض الأبصار، فالاستئذان إنما جعل لغض البصر.

وقوله تعالى: (بيوتا غير بيوتكم): فالمفهوم هو البيت المعهود، فالغرفة في البيت، بيت، فكل من اختص بمكان وصار محلاً لكشف

عورته ومستراحه واختصاصا لنفسه لا يحل لأحد دخوله دون إذن صاحبه.

إضافةً للناحية الاجتماعية التي تعالجها الآية هناك ناحية نفسية؛ فقد لا تحب المرأة أن يراها زوجها بمظهر لا يليق، فإذا ما استأنس عُلم قدومه فتجهزت، وكذا الرجل، كما أن الإنسان قد يجد في نفسه شيئاً تجاه شخص معين لا يحب أن يدخله منزله، فالاستئناس حاجز عن دخول هذا الشخص.

ومن المعلوم أن أهل البيت إذا استأذنهم أحد بالدخول، فإنهم قبل الإذن له سيهيئون المكان إن لم يكن مهيئاً، وتذهب النساء عن مكان الاستقبال، أو طريق الداخل، ويبذلون كل ما من شأنه الحفاظ على مظهر بيتهم، وعدم اطلاع أحد على ما يسوؤه.

خاتمة

تبين من خلال هذا البحث كيف ركز القرآن الكريم عامةً وسورة النور خاصةً على أهمية المجتمع والعناية به؛ وأن هذه العناية تأخذ أشكالاً متعددة، بلغةٍ وألفاظ لطيفة ومعبرة وموحية بالمعاني إيحاءً جميلاً، ويمكن عرض خلاصة البحث فيما يلي:

- وضّحت السورة طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء من أبناء المجتمع في تعامل بعضهم مع بعض، فالتعامل مطلب اجتماعي ضروري لا يمكن رفضه بقدر ما يمكن إيجاد حلول له ومحاولة تطبيق هذه الحلول على أرض الواقع.

- اهتمت السورة بتطهير المجتمع من ظاهرة الزنا، والتشنيع على من يقترفون هذه الجريمة، واتخذت موقفا صارماً من خلال العقوبة الواقعة على الفاعليْن، إضافةً للتحذير الوارد من التبرج واتخاذ الزينة أمام الأجانب؛ لأنه مدعاة للوقوع في فاحشة الزنا.

- بيّنت السورة أهمية حفظ سمعة المجتمع وأفراده، واعتبرت الكذب على الآخرين وقذفهم زوراً وبهتاناً جريمة اجتماعية كبرى يعاَقب عليها بالحد، كما جاء التقريع في السورة على من يحبون أن تشيع الفواحش في المجتمع؛ لأنهم بذلك يهدون أركانه ويمزقون بنيته.

- لم تغفل السورة حق الفرد في أخذ حريته بملكه (البيت أو السكن) وشرعت لذلك أدباً اجتماعياً تجلى في خلق الاستئناس (الاستئذان) والذي من شأنه حفظ العورات وعدم مغافلة أحد لأحد أثناء خلوته، وجعلت الاستئناس مقدماً على السلام نظراً لأهميته وسموه.

وخلاصة القول أن اهتمام القرآن الكريم بالحياة الاجتماعية في سورة النور إنما جاء ليكون وقايةً وعلاجا، ينبثق عن ذلك من صونٍ لبناء هذا المجتمع وأفراده، علماً أن المجال ما زال واسعاً لإجراء مزيد من البحوث في هذا الجانب وتحديداً في سورة النور.

الهوامش:

١ –ابـــراهيم أنـــيس، دلالـــة الألفـــاظ، مكتبـــة الانجلـــو المصـــرية، ط٣، ١٩٧٦م، ص ٤٨–٤٩.

٢ – محمـــد الصـــغير، نظريـــة النقـــد العربـــي (رؤيـــة قرآنيـــة معاصرة)، بيروت، دار المؤرخ العربي، ١٩٩٩، ص٤٨.

[٣] – ســـيد قطـــب، فـــي ظـــلال القـــرآن، ط٩، بيـــروت: دار الشروق، ١٩٨٠م، ٢٤٨٦/٤

٤ – محمـــــد الطـــــاهر بن عاشور، تفســـــير التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ١٩٩٧م، (د.ط)، ١٤٠/١٨.

٥ – ابن منظور، لسان العرب، مادة (زنا).

٦ ــ مجمـــع اللغـــة العربيـــة، المعجـــم الوســـيط، مكتبـــة الشـــروق الدولية، ٢٠٠٤، مادة (زنا) ١/ ٤٠٣.

٧ – علـــي بـــن محمـــد بـــن علـــي الجرجـــاني، التعريفـــات، تحقيـــق : إبـــراهيم الأبيـــاري، دار الكتـــاب العربـــي، بيـــروت، الطبعـــة الأولى، ١٤٠٥هـ،ص١١٨.

٨– أبـــو البقـــاء أيـــوب بـــن موســـى الكفـــوي، الكليـــات: (معجـــم فـــي المصـــطلحات والفـــروق اللغويـــة)، نشـــر بإشـــراف: عـــدنان درويـــش ومحمـــد المصـــري، وزارة الثقافـــة والإرشـــاد القـــومي، دمشـــق، ١٩٧٤: (زنى).

٩– أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن أحمـــد القرطبـــي، الجـــامع لأحكـــام القـــرآن الكـــريم، دار الكتـــاب العربـــي للطباعـــة والنشـــر، القـــاهرة، ١٩٦٧ ، ١٥٩/١٢.

١٠ – التحرير والتنوير، ١٨/١٥٥.

١١ – أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان لعلوم القرآن، أعيد طبعه بالأوفست من قبل مركز البحوث والدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، الجمهورية الإسلامية في إيران ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ٣٨٦/٣.

١٢ – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق:عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها:محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)،(د.ت) ٩٧/١٢.

١٣ – التعريفات، ص 235.

١٤ – أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير زاهد، ط3 ، بيروت :عالم الكتب، 1988،١٣٢/٣.

١٥– أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ١٩٠/١.

١٦ – الظلال،4 /2491.

١٧ – الإفك :هو الكذب الفاحش القبح كالكذب على الله أو قذف المحصنات، فهو أسوأ الكذب وأقبحه، والإفك الحديث المقلوب مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، وعاقبة الأفّاك العذاب العظيم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما.انظر: :التحرير والتنوير، ١٨/١٨١.

١٨- لسان العرب: مادة (حصن) .
١٩- عباس أبو السعود، أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، دار المعارف، مصر، ط٢، ص٣٦٨.
٢٠- أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة: مادة (حصن) ٢/ ٦٩، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
٢١- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده النحوي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ١/٣٤٤.
٢٢- أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٣، ١٩٨٨: ١٠٢/٢.
٢٣- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ، تهذيب: أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب البريزي، ضبطه لويس شيخو اليسوعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (حصن) ٧٩١/٢.
٢٤- المخصص، ٣٤٤/١.
٢٥- أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الشهير بالراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢مادة (حصن) ١٢٠.

٢٦- مجد الدين محمد الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٧-الكليات،مادة (حصن) ١٨٣/٤٠ .

٢٨- المخصص: ٣٤٤/١.

٢٩- مقاتل بن سليمان البلخي، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ١٤٧/١.

٣٠- الكليات: ٦٩/١.

٣١ - عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، ٥٦١/١.

٣٢- المخصص: ٤٤٩٧/١.

٣٣- لسان العرب: مادة (نكح).

٣٤- لسان العرب: مادة (نكح).

٣٥- لسان العرب: مادة نكح.

٣٦- الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيب، منشورات انتشارات أسوه، إيران، ١٤١٤هـ، مادة نكح، ١٨٣٧/٣.

٣٧- لسان العرب: مادة (نكح) .

٣٨- التحرير والتنوير: ٢٨٦/٢١.
٣٩- تهذيب اللغة: مادة (نكح).
٤٠- الصحاح: مادة (نكح) .
٤١- بصائر ذوي التمييز: مادة (نكح).
٤٢- أحمد الحصري، النكاح والقضايا المتعلقة به، دار ابن زيدون، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٥، ١٩٨٦، ٧-٨.
٤٣- أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠، ٣/٧.
٤٤- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مادة (نكح)
٤٥- الكليات: ٣٢٩/٤.
٤٦- التحرير والتنوير: ٢٨٦/٢١.
٤٧- النكاح والقضايا المتعلقة به: ٨-٩.
٤٨- المخصص: ٤٩٧/١.
٤٩- صحيح مسلم: حديث رقم: ١٤٣٢.
٥٠- بصائر ذوي التمييز: مادة (زين).
٥١- مقاييس اللغة: مادة (زين).
٥٢- لسان العرب: مادة (زين).
٥٣- الصاحب إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩١، مادة (زين).

٥٤- بصائر ذوي التمييز: مادة (زين).

٥٥ – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي،غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ١٨١/٥، أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، مؤسسة الرسالة، ص: ١٥٧.

٥٦ – الإكليل: التاج وعصابة تزين بالجوهر، وطاقة من الورود والأزهار على هيئة التاج تكلل الرأس أو تطوق العنق للتزيين، ينظر: مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، ٨٠٢/٢.

٥٧ – الوشاح: خيطان ينسجان من أديم،عريضان، معطوف أحدهما على الآخر، ومرصعان بالجواهر واللؤلؤ، تتوشح به المرأة وتشده بين عاتقيها وكشحيها، والكشح: ما بين الخاصرة والضلوع. ابن منظور: لسان العرب، مادة (كشح).

٥٨ – القرط: نوع من حليِّ الأذُن معروف. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ٤/٦٤.

٥٩- مقاييس اللغة: مادة (برج)، .

٦٠- المحيط في اللغة: مادة (برج).

٦١- ترتيب العين: مادة (برج).

٦٢- لسان العرب: مادة (برج) .

٦٣- تهذيب اللغة: مادة (برج).

٦٤- التحرير والتنوير: ٢٣٩/١٨.

٦٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مادة (برج).

٦٦ - محمد عبد العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية،دار الفرقان،بيروت، ط١٤٠٣،١هـ، ص٤٤٧.

٦٧ - علي عبد الحليم محمود، التربية الإسلامية في سورة النور(من سلسلة التربية الإسلامية في القرآن الكريم)، دار التوزيع والنشرالإسلامية، القاهرة، ص ١١٩.

٦٨ - لسان العرب، ج١ص ٢٣٤.

٦٩ - القاموس المحيط، ج ٢ص ٢٨٨.

٧٠ - لسان العرب، ج١٣ ص١٠، وكذلك: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، ١٩٧٩، ص١٣.

٧١ - الظلال، ٢٥٠٨/٤.

٧٢ - حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، القاهرة، دار التوزيع الإسلاميّة، ١٩٩٦، د.ط، ص٣٢٥.

٧٣ - وهبة الزّحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ودمشق، دار الفكر، ١٩٩١، ١٨/ ٢٩٢- ٢٩٣.